مِنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ
مَعَ أَصْحَابِهِ

من جمع
أسرة عمر بن الخطاب بالمعهد الديني

طبع على نفقة
إدارة الشئون الدينية بدولة قطر

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة
الرقم العام :
رقم التصنيف :

الراجي عفو العظيم الباري
عبد الله بن ابراهيم الانصاري

مِنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة
رقم التصنيف :
الرقم العام :
الرقم الخاص :
جهة الورود :

من جمع
أسرة عمر بن الخطاب بالمعهد الديني

الراجي عفو العظيم الباري
عبد الله بن ابراهيم الانصاري

طبع على نفقة
إدارة الشئون الدينية بدولة قطر

١٠٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

- في ثباته على الحق وتمسكه به ..
- في تربيته لأصحابه ...
- في حرصه على هداية قومه ..
- في بيته .. ومع خدمه ..
- في هجرته من أجل عقيدته ..
- في مؤاخاته بين المسلمين ..
- في وضع الأسس القوية لبناء المجتمع المسلم ..
- في جوانب مختلفة من حياته .

في هذه الصفحات نصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونترسم خطاه ونقتفي آثاره ، ونتعلم من سيرته .. عسى أن تستيقظ قلوبنا ..

«وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ»

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجاً ، وهدانا بفضله إلى خير دين وجعله لنا شرعة ومنهجاً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، وبعثه إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحابته ، ومن اهتدى بهديه ، وعمل بسنته إلى يوم الدين .

وبعـــــد ،

فهذه صفحات مضيئة من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تتجلى فيها بعض آيات نبوته ، وإشراقات رسالته . وفيوض تعاليمه وهدايته .

إن هذه الصفحات ، القليلة بعددها ، والكبيرة بمضمونها ومحتواها ، تبرز للقارئ بعض جوانب العظمة في رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد تجمعت فيه الفضائل كلها ، والتقت فيه المكارم والمحامد جميعها من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه .. وكأننا نشعر ونحن نطالع هذه الصفحات أننا نعيش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشاهده في مواقف ومناسبات مختلفة ، كيف يتعامل مع الناس ، من أصحابه وغير أصحابه ، وكيف كان حقاً القدوة الصالحة ، والأسوة الحسنة للمؤمنين في كل زمان وفي كل مكان ، في صفحه وعفوه ، وفي حسن أدبه وسمو أخلاقه ،وحسبه ثناء الله عليه بقولهسبحانه : «وإنّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ»، وفي أخذه بمبدأ الشورى المأمور به من رب العالمين «وشاورهم في الأمر» ، وفي عشرته لزوجاته ومعاملته لخدمه ، وفي

ثباته على الحق وتمسكه به ، وفي حرصه على هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وفي صبره على متاعب الدعوة ، وفي هجرته إلى المدينة المنورة ، وتأسيسه للمجتمع الإسلامي وللدولة الأسلامية في ربوعها ، وفي تربيته لأتباعه والمؤمنين بدعوته ، وإعدادهم لحمل الأمانة وتبليغ الرسالة ، ليكونوا هداة الأمم ، ومعلمي البشرية ، ومنقذي الإنسانية من الضلال .

هذه الصفحات القليلة ، تتحدث عن ذلك كله في إيجاز غير مخل ، يستوعب المعنى ، ويعطيه إلى القارئ مشعلا مضيئاً ، يهتدي به ويضيء له السبيل ، وينال — إذا عمل بمقتضاه — عز الدنيا وسعادة الآخرة ، والفوز برضوان الله ورعايته وتأييده .

ولا يفوتني أن أقول بأن هذه الصفحات ، قام بجمعها وتأليفها طائفة من طلاب المعهد الديني بالدوحة ، باسم «أسرة عمر بن الخطاب» ومنهم الابن عبد العزيز عبد الله الأنصاري وهو طالب في المعهد .

وقد رأينا — تعميماً للفائدة — أن نطبعها ونوزعها على طلبة العلم ، والراغبين في المعرفة ، لعلّ الله أن ينفع بها ، وأن يجزل المثوبة والأجر لكل من ساهم في جمعها وكتابتها وطبعها ونشرها ، وأن يحشرنا يوم القيامة تحت لواء نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه . «يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ والَّذين آمنوا معَهُ ، نورُهم يسعى بينَ أيْديهم وبأيمانِهِمْ يقولونَ رَبَّنا أتْمِمْ لنا نُورَنا واغفرْ لنا إنَّكَ على كُلِّ شيءٍ قَديرٌ »

وبالله التوفيق .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

الدوحة في : ١٤/١١/١٣٩٧ هـ .

عبد الله ابراهيم الأنصاري
مدير إدارة الشئون الدينية

مع رسول الله ﷺ في حب قومه له

جوانب العظمة في رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم لا حصر لها . لقد تجمعت عنده الفضائل كلها ، والتقت فيه المكارم والمحامد جميعها ، منْ رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفةً أحبه .

أحبه المؤمنون حباً ملك عليهم حواسَّهم ومشاعرهم واختلط بدمائهم ، وفاضت به قلوبهم . الكل يتبارى في طاعته ، ويتسابق لتلبية أمره ويفديه بنفسه وماله وولده وكل عزيز لديه .

انتظره الأنصار حين علموا بمقدمه إلى المدينة . فكانوا يخرجون إلى ظاهر الحرة يترقبون مقدمه أياماً متتالية والشمس تحرق أجسادهم . والشوق تملأ جوانحهم وفيهم من لم يكن رآه من قبل ولكن الحب الذي انقذف في قلوبهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان فوق ما يصف الواصفون .

قال عروة بن مسعود الثقفي لأصحابه بعد ما

رجع من الحديبية :

أَيْ قوم واللهِ لقَد وفدْتُ على المُلُوكِ ، على كسرى وقيصر والنجاشي ، واللهِ ما رأَيتُ ملِكاً يُعظِّمُهُ أَصحابهُ ما يُعظِّمُ أَصحابُ محمدٍ مُحمَّداً ، إِذا أَمرهُمْ ابتدروا أَمْره . وإِذا توَضَّأَ كادوا يقتتلون على وضوئه وإِذا تكلَّم خفضُوا أَصواتهُمْ عنده ، وما يُحِدُّون النظر إِليهِ تعْظيماً له .

أَجلْ لقد حل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قلوب المسلمين محل الروح والنفس ، وشغل منهم مكان القلب والعين . أَحبه القوم بكل قلوبهم فأَطاعوه بكل قواهم وسلموا إِليه زمام أَنفسهم وأَموالهم حتى رأَينا سعد بن مُعاذ يحدِّثه باسم الأَنصارِ قائلاً : يا رسول اللهِ ، صِلْ حبْلَ منْ شِئْت ، واقْطعْ حبْلَ منْ شِئْت ، وسالِمْ منْ شِئْت ، وحارِبْ منْ شِئْت ، وخُذْ مِنْ أَمْوالِنا ما شِئْتَ ، وأَعْطِنا ما شِئْتَ ، وما أَخذْت مِنَّا كان أَحبَّ إِلينا مما ترَكت ، فواللهِ لو اسْتعرَضْت بنا البحْر فخُضْتهُ لخُضْناهُ معك ما تخلَّف

مِنَّا رجُلٌ واحد .

ولقد روى التاريخ من عجائب الحب لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتفاني في طاعته ، وإيثاره على النفس والأهل والمال والولد ، ما لم يحدِّثْ قبله ولا بعده .

لقد ضرب المشركون يوماً أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ ضرباً شديداً حتى أُغمي عليهِ وحُمِل إلى بيتِهِ وقدْ توَّرم وجْهُهُ منْ شِدَّةِ الضَّرْبِ فلما أفاق آخرِ النَّهارِ كان أول ما تكلم أَنْ سأَل : ما فعَل رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ فقالوا له : إنه بخير فقال أين هو ؟ قالوا في دار الأَرقم بن أَبي الأَرقم فحلف ألاَّ يذوق طعاماً ولا شراباً حتى يأْتي رسول الله ، فلما سكن الناسُ وهدأَ القومُ خرَجُوا بأَبي بكرٍ يحملونه حتي أَدخلوه على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

وحينما خرَج أَبو بكر مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مهاجرَيْنِ وقريشُ تجِدُّ في طلبهما كان أَبو بكر يحرس رسول الله ، فيمشي أَمامه تارة خشية

أن يفاجئه أحد ، ثم يخيل إليه أنَّ أحداً ربما هاجمه من خلفه فيسير خلفه وهكذا ، وعندما انتهيا إلى الغار قالَ أبو بكر : مكانك يا رَسُول الله حتى أَسْتبريْ لك الغار ، فدخل هو أولاً لِيسْتطْلع العار خشية أن يكون فيه شيءٌ يؤذي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم

وفي غزوة بدر كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُعدِّلُ الصفوف بعود في يده ، فمر بسواد بن غزِيَّة ، وهو متقدم صفه ، فطعنه بالعود في بطنه وقال له : استو ياسواد . فقال : أَوْجَعتني يارسول الله وقد بعثك الله بالحق فأَقِدْني «أي مكِّني من القصاص منك» فكشف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن بطنه وقال : اسْتقِد يا سوادُ ، فانكب سوادُ على بطن رسولِ الله يُقبِّلُها فقال : ما حَملك على ذلك ؟ قال : يا رسول الله حضر من الأَمْرِ ما ترى ، فأَرَدْتُ أَنْ يكون آخر العهد بِكَ أَنْ يمسَّ جِلْدي جِلْدَكَ . فدعا له النبي ـ صلى الله عليه وسلم بِخيْر .

وأُخْبِرَت امرأة من الأنصار قُتِل أبوها وأخواها

وزوجها يوم أُحُدٍ مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أُخْبِرتْ بخبرهم فكان أول ما قالت : ماذا فعل رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ؟ ـ فقيلَ لها هُو بِحمْد الله كما تُحبّينَ . قالت : أَرُونيه أَنْظُرْ إِلَيه «فلما رأَتْهُ قالت : كُلُّ مُصيبة بعْدك جَلَلٌ (أي هينة يسيرة) .

وقد أَسرت قريش خُبيب بن عدي ورفعوه على الخشبة ليقتلوه فقال له أَحدُهُمْ : أَتُحبُّ أَنَّ محمداً مكانك وأَنْتَ في أَهْلك سالمٌ مُعافى ؟ فقال لهم : لا والله ما أُحبُّ أَنْ يُشاكَ مُحمَدٌ شوْكةً في قدمه ولا أَفْديه بِنفْسي .

وقال زيد بن ثابت : ـ

بعثني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أُحُد أَطلب سعْد بن الرَّبيع فقال لي : إن رأَيْتَهُ فأَقْرِئْهُ مني السلام وقُل لهُ : يقولُ لك رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كيف تجِدُكَ ؟ .

قال زيْدٌ : فجعلتُ أَطوف بين القتلى فأَتَيْتُهُ وهو بآخِرِ رَمق وفيه سَبْعون ضَرْبة ما بين طعنة رُمْح ،

وضرْبَة سَيْفٍ ، وَرَمْيةِ سَهْم ، فقلت : يا سعدُ ، إنَّ رسولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَقْرأُ عَلَيْكَ السَّلام ويقولُ لَك : أَخْبِرْني كيفَ تجِدُكَ ؟ فقال سعدٌ : على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ السلامُ ، قُل لهُ يا رسول الله أَجِدُ رِيحَ الجنَّةِ ، وقُلْ لِقوْمِي الأَنصارِ : لا عُذْرَ لكُمْ إنْ خُلِصَ إلى رسولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفيكُمْ عيْنٌ تَطْرِفُ . وفاضتْ نفْسُهُ مِنْ وقْتِهِ.

ولما خلَصَ المشركون إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة أُحُدٍ فَجَرَحُوا وجهه ، وكسروا رباعيته ، وهشموا البيضة على رأسه في وجنته ـ أَحاط به نفر من المسلمين ، يفدونه بأَنفسهم وقتلوا بين يديه ودخلت حلقتان من حِلَقِ المغفر في وجهه فانتزعهما أَبو عبيدة بن الجراح بأَسنانه حتى سقطت ثنِيَّتاه من شدة غوصهما في وجهه .

ومصَّ مالك بن سنان ـ والد أَبي سعيد الخدري ـ جَرح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى أَنْقاه فقال له : مُجَّه قال : والله ما أَمَجُّه أَبداً .

وترَّس أَبو دُجانَةَ بظهْرِهِ على رسولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم والنَّبْلُ يَقَعُ فيهِ وهو لا يتحرك .

هذه أَمثلة من نوادر الحب وعجائب الطاعة التي لم يُسْمَعْ بها في التاريخ إلا لِمُحمَّدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ولأَصحابه .

★ ★ ★

صفحـــه وعفـــوه

أما عفو النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان في ذلك مثلا فريداً ، يصفح عمن ظلمه ويعفو عمن أساءَ إليه ، ويُرَغِّب أصحابهُ في العفو والصفح ويقرأ عليهم قوله تعالى : « فَمن عَفا وأَصْلحَ فَأَجْرُهُ على اللهِ» « وَلمَن صبر وَغفَرَ إنَّ ذٰلكَ لمِنْ عَزْم الأُمور » .

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أَوصاني ربي بتسع أُصيكُم بها : ـ

أَوصاني بالإِخلاص في السِّرِّ والعلانيةِ ، والعدْلِ في الغضبِ والرِّضا ، والقصْدِ في الفَقْرِ والغنى ، وأَنْ أَعْفُوَ عمَّنْ ظلمَني ، وأَصلَ مَن قطَعني ، وأُعْطِيَ منْ حَرمَني ، وأَنْ يكُونَ نُطقِي ذِكْراً ، وَصَمْتي فِكْراً ، وَنَظرِي عِبرةً .

وعنْ أَنس : كُنْتُ أَمْشي مع رسولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليه بُرْدٌ غليظُ الحاشيةِ فأَدْركهُ أَعرابيٌّ ، فجَذبهُ جَذْبةً شديدةً ، حَتّىَ نَظرْتُ إلى صفْحة

عاتِقِ رسُولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقدْ أَثَّرتْ بها حاشيةُ البُرْدِ ، مِنْ شِدَّةِ جذْبتِهِ ، ثُمَّ قال : يامُحمَّدُ مُرْ لي مِنْ مالِ اللهِ الذي عنْدك ، فالتفت رسولُ اللهِ وضحِك وأَمَر لهُ بِعطاءٍ.

وكان عليه دينٌ لرجلٍ فجاء يطالبه بِدَيْنِهِ وجذبَهُ من ثوبهِ جذْبةً شديدة وقال له : يا بني عبد المطَّلب إنَّكُمْ قوْمٌ مُطْلٌ ، فَهَمَّ عُمرُ أَنْ يفتك بالرَّجُلِ ولكنَّ النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَنعهُ مِن ذٰلك وقال له : يا عمرُ كُنَّا أنا والرَّجُلُ أَوْلى منْك بِغيرِ هٰذا ، كان الأَوْلى أَنْ تأْمُرَني بِحُسْنِ الأَداءِ ، وأَنْ تأْمُرَهُ بِحُسن الطَّلبِ . ثُمَّ طلب مِنْ عُمَرَ أَنْ يُسَدِّدَ دينهُ ويزِيدهُ .

فلم يكن ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعفو ويصفح فحسب ، ولكنه كان يقابل الإساءة بالإحسان .

ومن ذلك أيضاً أن أحد المشركين وقف على رأس النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالسيف وقال له : منْ يمْنعُك مِني ؟ قال : الله . فسقط السيف مِنْ يدِهِ فتناولهُ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووقف على

رأس الرَّجُل وقال له : من يمْنعُك مِني ؟ فقال الرجل : كُنْ خيْر آخِذ «أي أَحْسِنْ قتْلي ولا تُعذِّبْني» فتركه النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم وعفا عنه .

فعاد الرجل إلى قومه يقول لهم : «جِئْتُكُمْ مِن عِنْدِ خيْرِ النَّاسِ» .

وإن أعظم العفو أن تعفو وأنت قادر على إنفاذ العقوبة ـ لا عن ضعف أو جبن ـ فإنك بذلك تكون قد انتصرت على نفسك وتغلبت حقاً على شهوة الغلبة والإنتصار .

وهكذا كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المثل الأعلى في الصفح والعفو عند المقدرة .

ولقد بلغ الذروة العليا في العفو والصفح عن أعدائه وشانئيه ، حين انتصر عليهم ، وتمكن منهم ، وأصبحت له القدرة والغلبة عليهم وقد نالوا منه وآذوه وطردوه من بلده ولاحقوه إلى موطن هجرته يحاربونه ويقاتلونه .

فماذا فعل بهم لما أمكنه الله منهم وفتح عليهم مكة ؟ شملهم بعفوه المطلق وسماحته الغامرة ، وقال

لهم : اذْهبُوا فأَنْتُمُ الطُّلقاءُ .

إنها قمة سامقة في السماحة والعفو والصفح لم تعرف لغير محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا مثل آخر لن تجدوا له شبيهاً في تاريخ البشرية : ـ

هذا صفوان بن أُمية ، العدو ابن العدو ، يفر إلى جُدَّة ليبحر إلى اليمن فراراً من رسول الله ، وخوفاً من أن يقبض عليه ، ويقتص منه جزاء ما ارتكب في حقه وحق المسلمين ، فيأْتي ابن وهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيقول : يارسُول اللهِ إنَّ صفوان ابن أُميَّة سيِّدُ قومِهِ ، قدْ خرج هارباً منك ، ليقذف بنفْسه في البحْر ، فأَمِّنهُ . قال : هُو آمِنٌ قال : يا رسُول اللهِ فأَعطِني آية يعْرِفُ بها أَمانك ، فأَعطاه الرسول عمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب البحر ، فقال يا صفوان . اللهَ اللهَ في نفسك لا تُهْلِكْها ، فهذا أَمانُ رسولِ اللهِ قدْ جِئْتُك بِهِ . قال : إني أَخافُهُ على نفسي .

قال : هو أَحلم من ذٰلِك وأَكرم . فرجع معه حتى وقف به على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فقال صفوان : إنَّ هٰذا يزْعُمُ أَنَّك قدْ أَمَّنْتني . قال : صدق . قال فاجعلني فيه بالخيار شهرين . قال : أَنْت بالخِيارِ أَرْبعَة أَشْهُرٍ .

فهل في تاريخ البشرية مثالٌ من العفو عند المقدرة أَبرُّ وأَكرمُ مما فعله محمد ـ صلى الله عليه وسلم .

وحسبنا أن نذكر في هذا المقام موقفه من زعماءِ الكفر وسدَنة الشرك في مكة ، يوم أَن فتحها الله عليه ، ودخلها منتصراً ، وأَصبح هؤلاءِ الأَعداءُ الذين نكَّلوا به وبأَصحابه وحاربوه بلا هوادة وحاولوا قتله أَكثر من مرة ، فمنعه الله منهم ، أَصبحوا يوم الفتح الأَعظم في قبضته ، يستطيع أَن يفعل بهم ما يشاءُ ، ولكنه عليه الصلاة والسلام ، جمعهم إليه وقال لهم : ما تظُنُّون أَني فاعِلٌ بكُمْ ؟ قالوا في ذلة وصغار : خيراً ، أَخٌ كريم وابنُ أَخ كريم . فقال : اذْهبُوا فأَنْتُمُ الطُلقاءُ .

وهكذا بلغ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، في عفوه وصفحه ، الذروة العليا والغاية القصوى التي يعِزُّ نظيرها في تاريخ البشرية على مدى العصور .

الشـــورى

ونصحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يؤسس المجتمع المسلم ويضعُ له القواعد الثابتة والدعائم القوية التي تضمن له السلامة والاستقرار .

من أُولى هذه الدعائم «الشورى» وقد أَمره الله بذلك فقال «وشاوِرْهُمْ في الأَمْرِ» وقد سنها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سنة عامة . فقال : «ما تشاور قومٌ قطُّ إلا هُدُوا لأَرْشدِ أَمْرِهِمْ» .

وأَوجب على المستشار أَن يبذل النصح والإِخلاص في مشورته لأَن المستشار مؤتمن وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «إِذا استشار أَحَدُكُمْ أَخاهُ فلْيُشِرْ عَلَيْهِ» وهكذا جعل الشورى خُلُقاً وسلوكاً في حياة المسلمين ونفي من مجتمعهم الاستبداد بالرأْي . وفسر العزم في قوله تعالى : «فإِذا عزمْت فتوَكَّلْ عَلى اللهِ» بأَنه مشاورة أَهل الرأْي ثم اتباعهم .

وذلك لأَن الاستبداد بالرأْي يقتل حُرِّية الرأْي في الأُمة ويقضي على حقٍّ من أَقدس الحقوق ويحرم

الأُمة من ثمراتِ العقول ، ويؤرث الأَحقاد والعداوات بين الأُمة ورؤسائها .

ومهما كان رأي الفرد سليماً وصحيحاً فإنه لا يجوز إهمال رأي الآخرين . والأَخذ برأي الجماعة وإن كان خطأً أولى ، حتى تشعر الجماعة بمسئوليتها وتشارك في تحمل التبعة وتتدارك في المستقبل خطأَها إن جانبها التوفيق .

وقد كانت حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تطبيقاً لهذا المبدأ ، فلم ينفرد دون أَصحابه برأي إلا إذا كان وحياً من الله ليس لهم فيه رأي ولا مشورة . شاورهم في بدر واستمع إلى آرائهم وعمل بها فكان النصر حليفه .

وشاورهم في أُحُدٍ أيخرج لقتال العدو خارج المدينة أَم يتحصن بها ؟ فرأى جماعة الخروج للقاء العدو وكانوا أَغلبية ورأى جماعة التحصُّن بالمدينة ورغم أَنَّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يرى الرأي الثاني وكان مقتنعاً بأَنَّ المصلحة في الأَخذ به

إلا أنه نزل على رأي الأغلبية حتي يترك لنا قاعدة ثابتة نسير عليها ، هي أنَّ النزول على رأي الجماعة وإن كان من ورائه الهزيمة خير من هدم ذلك الركن الركين ألا وهو «الشوري».وشاور المسلمين في غزوة الأحزاب وأخذ بمشورة سلمان الفارسي في حفر الخندق ولما اشتد الحصار على المسلمين أراد أن يخفف عنهم فأرسل إلى عُيينة بن حِصْنٍ والحارث بن عوف قائدي غطفان على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة ويتركوها واستشار الأنصار في ذلك وهم في ضيق شديد من الحصار فقال له سعد بن معاذ وسعد بن عبادة :

يارسول الله أَهُوَ أَمْرٌ تحبه فنصنعه لك أم شيْ منْ أجلنا ، أم أَمَر اللهُ به ؟ فقال بل هو أَمرٌ أصنعه من أجلكم ، حين رأيتُ العرب قد رمتكم عن قوسٍ واحدة . فقالا له : يارسول الله ، كنا نحنُ وهؤلاء على الشرك بالله ، وعبادة الأصنام وما طمعوا أن يأخذوا منا تمرة إلا قِرى أو بيْعاً ، أفحين أعزَّنا اللهُ بِك وهدانا إلى الإسلام نُعطيهم أموالنا ؟ لا والله لا

نُعطِيهم إلا السيف حتى يحْكُم اللهُ بيننا وبينهم . فنزل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على رأْي أَصحابه وقال لعُيَيْنة ، ورفيقه : انْطلِقا فليس لكما عِنْدنا إلا السَّيف .

وهكذا علَّمنا النبي ـ صلى الله عليه وسلم أَنَّ الخير كُلَّ الخيْرِ هو في رأْي الجماعةِ لا في رأْي الفرد .

رأْي الجماعة لا تشقى البلاد به
رأْيُ الخلاف ورأْيُ الفردِ يُشْقِيها

★ ★ ★

ماذا يعني محمد ـ ﷺ ـ بالنسبة لنا

إنه رسول العناية الإلهية الذي تدين له الإنسانية بالهداية بعد الضلال ، والعلم بعد الجهل ، والإيمان بعد الكفر .

إنه الصورة التطبيقية العملية لهذا الدين . وهديُه القولي والعملي هو البيان والتفسير لآيات الذكر الحكيم «وأَنْزلْنا إِلَيْك الذِّكْرَ لتُبيِّنَ للنَّاسِ ما نُزِّل إِلَيْهِم ولَعَلَّهُمْ يَتفكَّرُون» .

إنه المبلغ عن الله ـ عز وجل ـ ، الذي بلَّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ونصح للأُمة ، وتركها على المَحجة البيضاء ، والطريقة الواضحة الغراء .

إنه معلم الإنسانية معاني الخير والرشاد .

إنه الذي غرس الإيمان في القلوب ، وملأ بالمعرفة العقول ، وأزال الغشاوة عن العيون .

إنه المنارة الهادية التي ترشد الحائرين ، وتهدي الضالين ، وتعلم الجاهلين .

ليس محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قصة تلوكها الألسنة وألفاظاً تتحرك بها الشفاه ، يذكره المسلمون في المناسبات ، ويؤلفون في مدحه القصائد والكلمات ، ويكتفون بهذه المظاهر والأشكال عن حقيقة سيرته العطرة التي تطالبهم بالتأسي برسول الله والاقتداء به .

إن الرابطة بين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته أوثق من هذا وأعمق . إنها توجب عليهم أن يكون محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حياتهم وسلوكهم وضمائرهم وقلوبهم صورةً حيةً ماثلةً ، ونموذجاً عملياً تطبيقياً .

إنها تعني أن يكون محمد مُطاعاً في كل ما جاء به ، فإن طاعته من طاعة الله عز وجل ، والأخذ بقوله وفعله دينٌ وعقيدة ، «مَنْ يُطعِ الرَّسُول فقد أطاعَ الله» «وما آتاكُمْ الرَّسُولُ فخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتهُوا» «تَركْتُ فِيكُم ما إنْ تمَسَّكْتُم بِهِ لنْ تَضِلُّوا بَعْدي أَبَداً كتاب الله وسُنَّتي» .

إنها تعني أن يُخْضع المرءُ رغباتِه وأَهْواءَهُ ، ويترك نزعاته وشهواتِه ، لما جاء به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويُوقِن أن اتِّباع سنته أولى من اتِّباع هواه ، وأن الخير يكمن في منهج رسول الله وإن خالف مصلحتَهُ «لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتَّى يكُون هَوَاهُ تَبَعاً لِما جِئتُ به» «فلا وربِّك لا يُؤمنون حتَّى يُحكِّمُوك فيما شَجر بيْنهُم ، ثُم لا يَجِدُوا في أَنْفُسِهِمْ حرَجاً مِمَّا قضيْت وَيُسلِّمُوا تسْلِيماً» .

إنها تعني أن يكون حبُّ الرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذروةَ العليا والغاية القصوى ، وألا يَبْلُغهُ أو يُدانيه حبُّ المرءِ لماله أو ولده أو والده أو نفسه التي بين جنبيه ، أو أي عرض من أعراض الدنيا مهما عز على الإنسان وغلا . جاء ذلك عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه في الصحيح «لا يُؤمنُ أَحدُكُمْ حتَّى أَكُون أَحبَّ إِلَيْهِ مِنْ نفْسِهِ ومَالِهِ وولدِهِ وَوالِدِهِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ» .

وقال له عمر بن الخطاب : يا رسُول اللهِ ، والله

إنَّك أحبُّ إليَّ مِنْ كُلّ شيءٍ إلا مِنْ نفسي . فقال : لا يا عمرُ حَتَّى أَكُون أَحَب إِلَيْكَ مِنْ نفْسك . فقال عُمَرُ : والله يا رسُول الله إنَّك أَحبُّ إليَّ مِنْ كُلِّ شيءٍ حَتى مِن نفْسي . فقال لَهُ : الآن يا عُمرُ .

أي أن ذلك هو كمال الإيمان وتمامه ، إذْ أن الأُسوة الحسنة والقدوة الصالحة ، لا تتحقق إلا إذا انبعثت عن الحب الصادق لمن نقتدي به .

إذن ليس هناك بشر على الإطلاق ، يمكن أن يحِلَّ محل رسول الله في قلوب المؤمنين ، ولا يجوز لمسلم ، يؤمن بالله ورسوله ، أن يضع أحداً من البشر في منزلة رسول الله أو قريباً منها .

وصدق الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ إذ يقول : «كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخذُ مِنْ كَلامِهِ ويُتْرَكُ إلاَّ الْمَعْصُومَ صلى اللهُ عليه وسلم .»

هذا هُو الميزانُ الدقيقُ الذي لا يميل به الهوى ، إن كل ما يجيءُ به أحد من البشر من قول أو فعل ، مهما ارتفع شأْنه وسمت منزلته ومهما احتل من قلوب الناس ، يوزن بهذا الميزان الرباني .

بهذا الميزان الذي جاءَ به هذا النبي المعصوم ويعرض عليه فما وافقه أَخذنا به وما خالفه نبذناه ورفضناه .

وهذا هو المنهج القويم والصراط المستقيم الذي يستقيم به أَمْر الحياة والأَحياءِ ، وما عداه من المناهج والسبل ، فضلال مبين . وصدق الله العظيم «وأَنَّ هٰذا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُبل فتفرقَ بكم عَن سَبِيلِهِ ذٰلِكُمْ وصَّاكُمْ بِهِ لَعلَّكُمْ تَتَّقُون» .

تعالوا ـ ياشباب ـ لنصحب رسول الله ـ ﷺ ـ نتعرف عليه في بعض جوانب حياته ، لعلنا نقتبس من سناه ، ونهتدي بهداه .

فاللهم أَعنَّا على أَن نكون خير أَتباع لخير نبي ، وأَن نكون تلاميذ صادقين لمحمد سيد الأَولين والآخرين.

★ ★ ★

رسول الانسانيـــة

بعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في القرن السابع الميلادي وقد غمر الدنيا ظلام حالك ، وغرقت البشرية في طوفان من الجهل والضلال والحيرة والبؤس والاضطراب وعمت الفوضى كل شي في الحياة كما قال شوقي :

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام في صنـــم

وقد بلغ الانحلال الخلقي ، والتفسخ الاجتماعي والقلق الاقتصادي ، والانهيار العقدي . بلغ الغاية في أنحاء العالم المعمور ، لأن الإنسانية قد بعد عهدها برسالات الأنبياء ، وانقطعت الأسباب بينها وبين السماء منذ زمن طويل ، وانطفأت المشاعل التي أوقدها الرسل والأنبياء لهداية البشر ، فلم يبق إلا نور خافت ضعيف في أنحاء متفرقة من العالم ولم يبق إلا قلّةٌ ضئيلة تبحث عن الهداية والحق تحت هذه الأشعة الخافتة الضعيفة ، ولا تكاد تهتدي إليه .

لقد هبط الإنسان هبوطاً شنيعاً ، وفقد رشده وتمييزه ، والتصق بالتراب والطين لما انقطعت صلته بهداية السماء ، وبدأت الإنسانية تتطلع إلى منقذها بهداية السماء ، وبدأت الإنسانية تتطلع إلى منقذ ينقذها من الهاوية ، وإلى مخلص يأخذ بيدها إلى النجاة ولم يكن ذلك سوى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي أرسله الله رحمة للعالمين وأخرج الناس به من الظلمات إلى النور .

وهكذا كانت بعثة محمد ـ صلى الله عليه وسلم حداً فاصلا بين عهدين :

عهد الكفر والإلحاد ، وعهد الإيمان والتوحيد ، عهد الظلام والضلال والجهل وعهد النور والهداية والعلم .

ويصور العهدين كلمة جعفر بن أبي طالب أمامَ النجاشي ملك الحبشة قال جعفر : أيها الملك .

كنا أهل جاهلية . نعبد الأصنام ، ونأكل الميْتة ونأْتي الفواحش ونقطع الأرحام ، ونسي الجوار ،

ويأكل القوي منا الضعيف ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منَّا نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه . فدعانا لتوحيد الله وأن لا نشرك به شيئاً ، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداءِ الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماءِ ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وأمرنا بالصلاة والصيام والصدق والعفاف والصلة .

هذا هو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة والنور الذي بدد ظلمات الشرك والجهالة والوثنية والخرافة وحطم الطواغيت التي مزقت شمل الإنسانية .

ففاءَ الناس إلى رشدهم ، وهُدُوا إلى الحق وإلى طريق مستقيم وصدق الله العظيم : ـ

«قدْ جاءَكُمْ مِن اللهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُبِينٌ يهْدِي بِهِ اللهُ منْ اتَّبعَ رِضْوَانهُ سُبُلَ السَّلام ، ويُخْرِجُهُمْ مِن الظُّلُماتِ إلى النُّورِ بِإِذْنِهِ ويهْدِيهِمْ إلى صِراطٍ مُسْتقِيم»

محمد في بيته ومع خدمه

وحياة النبي صلى الله عليه وسلم العائلية مثلٌ فريد في المعاملة الكريمة والعشرة الحسنة والوفاءِ الجميل. تزوَّج خديجة وهي أكبر منه سناً تكبره بحوالي خمسة عشر عاما لكنها رغبت الزواج من محمد ـ وقد تمنى زواجَها سادةُ العربِ لما رأَت من خلاله الكريمة ، وشمائله الحلوة ، وأَخلاقه الفاضلة ، فكان لها نِعْم الزوج ، وكانت له نِعْم الزوجة .

لم يتزوج عليها في حياتها ، وكان وفيًّا لها بعد مماتها . كانت تُهْدى إليه الشاةُ فيقسمها ويقول : أرسلوا هذا إلى فلانة فإنها كانت صديقة خديجة ، وهذا لفلانة فإنها كانت تأْتينا أيام خديجة .

يذكرها دائماً ويأْنس بذكرها حتى حرَّك ذلك يوماً غيرة عائشة . غارت من الزوجة التي ماتت من كثرة مايذكرها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت له يوماً : ـ

خديجة . خديجة . ماهي إلا عجُوزٌ ، أبْدلك اللهُ خيْراً منْها . فقال : لها مُغْضَباً : لا واللهِ ما أبْدلني خيْراً مِنْها . آمنتْ بي إذْ كفر النَّاسُ . وصدَّقتْني إذْ كذَّبني النَّاسُ . وواستْني بِمالِها إذْ حرمني الناسُ . ورزقني اللهُ مِنْها الولد دُون غيْرِها مِن النِّساءِ . وكان صلى الله عليه وسلم يأْبى أن تنال إحدى زوجاته من زوجة أُخرى في غيبتها فقد ذكرت عائشةُ مرةً صفية بأَنَّها قصيرةٌ فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم مُغضَباً : «لقدْ قُلْتِ كلِمة لو مُزِجتْ بِماءِ البحْرِ لمزجتْهُ» .

وكان صلى الله عليه وسلم ـ القدوة الحسنة في معاملته لنسائه لا يرى حرجاً في أن يعاونهن في شئون البيت . ويقول : «خيْرُكُمْ خيْرُكُمْ لأَهْلِه وأَنا خيْرُكُمْ لِأَهْلي » . ويقول «خِدْمتُك زوجَتك صدقةٌ» .

وقد سُئِلت عائشة : ما كان رسولُ اللهِ يفْعلُهُ في بيتِهِ ؟ . فقالت :

«كان يكُونُ في خِدْمةِ أَهْله» أي معاونتهم وخدمتهم «فإذا حضرتِ الصَّلاةُ يتوضَّأُ ويخْرُجُ للصَّلاةِ» .

وكان دائم البِشر ، بسَّام الثغر ، يزورهن جميعاً في الصباح والمساءِ وذكرتْ عائشةُ ـ رضي الله عنها أنه كان ضاحكاً بساماً وربما تجرأَتْ عليهِ فتقول له أمام أبيها : تكلَّمْ ولا تقُلْ إلاَّ حقاً . فلا يزِيدُ على أن يبْتسِم ، وربَّما راجعتْهُ وغاضبته حتَّى همَّ عمر يوماً أنْ يبْطِش بابْنتِهِ حفْصه لأنَّها تجرَّأت على رسول الله وراجعته كغيرِها . فيمنعه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ويقول له : ما لِهٰذا دعوناك .

أَهُناك رفق ولين ، ومعاشرة بالمعروف أكرمُ من رِفق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأَهل بيته ؟ ويلوك المنافقون عِرضه صلى الله عليه وسلم ويتهمون أحبَّ زوجاته إليه وهي عائشةُ في حديث مشهورٍ هو حديثُ الإفك .

هنا تجدُ القمة السامقة في طيبِ المعاملة وحكمة التصرف . فلما سمع ذلك الحديث الْمُريب لم يقبله بغيرِ بيِّنة ولم يرفضه بغير بيِّنه ووقف موقف الإنصاف والعدل فلم يفاتح زوجه في الأَمر وهي مريضة حتى

تشفى ولم يقابلها بما كان يقابلها به من الصفاءِ الكامل . ظل يسأَل ويتحرى وهو واثق كل الثقة من طهارتها وبراءتها . ولكنه يريد البيِّنة القاطعة التي يصفع بها المرجفين . وتكون براءتها أَمام الخلق عامة وأَمام نفسه المحبة . وحتى لا يتقوَّل متقوِّلٌ أَنَّ تبرئتهُ إياها عن محبةٍ وضعْفٍ ، لا عن تبيُّنٍ واستيثاق ، وانتهى الإستيثاق إلى الثقة ببراءتها ونزل الوحي يؤكد براءتها وطهارتها .

وكان صلى الله عليه وسلم . المثل الكامل في طيبِ المعاملةِ لخدمِه

قال أَنس : خدمْتُ النبي ـ صلى الله عليه وسلم عشْر سِنين فما قال لي أَفٍّ قطُّ ، ولا قال لشيءٍ فعلتُهُ : لِم فعلتَه ؟ ولا لشيءٍ تركتُه لم تركتَهُ؟ .

وكان يوصي المؤمنين بالخدم وينهاهُمْ عنْ مناداة السيدِ عبدَه بلفظ العبودية فيقول صلى الله عليه وسلم: «لا يقُلْ أَحدُكُمْ عبْدِي وأَمتي ولْكِنْ لِيقُلْ فتاي وفتاتي»

حتى في التسمية .. يُشعره بالكرامة الإنسانية ويقول صلى الله عليه وسلم : «إخوانُكُمْ خولُكُمْ جعلَهُمُ اللهُ تحْت أَيديكُمْ ولو شاءَ لجعلكُمْ تحْت أَيْديهِمْ ، فمنْ جعل اللهُ أَخاهُ تحْت يده فلْيُطْعمهُ مِمَّا يأْكُلُ ، ولْيُلْبسهُ ممَّا يلْبس ، ولا يُكلِّفْهُ من العملِ مالا يُطِيقُ فإنْ كلَّفهُ مِن العملِ مالا يُطِيقُ فلْيُعِنْهُ عليْه » .

★ ★ ★

ثباته على الحق وتمسكه به

كان صلى الله عليه وسلم المثل الأَعلى في التمسك بالحق والثبات عليه فقد امتلأَ قلبهُ بهذا الحق وآمن به إيماناً أَثبت من الجبال والرواسي ، وأَعمق من خفايا الضمائر ، فأَبى أَن يساوم عليه ورفض أَن يتخلى عنه وقد سِيقت إليه الدنيا بحذافيرها .

استخدم أَعداؤه معه أُسلوبَ التهديد والوعيد إن لم يترك دعوته وقالوا لعمه : إِنْ لمْ تمْنعْ عنَّا ابن أَخِيك نازَلْنَاك وإِيَّاهُ حتى يهْلِك أَحَدُ الْفَرِيقيْنِ .

فأَشفق عمه من فراق قومه ، ومناوأَتهم له ، فقال له : يا ابْن أَخي لا تُحَمِّلْني مِنَ الأَمْرِ ما لا أَطيقُ فأَجابَ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِتلك الْكلِمَة الخَالِدة التي ما زالت المثَل الأَعْلى في الثَّباتِ على الحق والإِصرار عليه : «واللهِ يا عَمِّ لو وَضعُوا الشَّمْس في يمِيني والْقمر في شمالي ، على أَنْ أَتْرُكَ هٰذا الأَمْر ما تَرَكْتُهُ حتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلِك دُونهُ» . واشتدت وطأَة أَعدائه عليه وعلى أَصحابه ، واستخدموا في إِيذائهم صنوفاً

شتى من العذاب ـ بعد وفاة عمه وزوجه ـ عسى أن يتراجع فما لانت له قناة ، وما تحول عن موقفه .

استخدموا معه أسلوباً آخر ، هو أسلوب الإغراء فعرضوا عليه الجاه والمال والسلطان لعله يقبل شيئاً منها ، ويسخلى عن دعوته فما هزَّ ذلك شيئاً من إيمانه ولم يجعله يفكر ـ مجرد تفكير ـ في التنازل عن دعوته ولم يزد على أن رد عليهم بآيات من كتاب الله « أول سورة فصلت» . وظل الصراعُ محتدماً بينه وبين أعدائه ، بين معسكر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأعزل من كل سلاح إلا سلاح الإيمان ، وبين عُصبةِ الشرك والضلال التي تتيه بقوتها وضلالها وباطلها .

ولكن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بثباته وإصراره ، وإيمانه برسالته استطاع أن يُحَطِّم الشرك في معقله وأن يُكسِّر الأصنام وهو يقول : «جاءَ الْحقُّ وزهق الْباطِلُ ، إنَّ الْباطِل كان زهُوقاً» .

لقد كان بوسع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقبل العروض التي عرضها المشركون وأن يكون

فيهم الرئيسَ المطاع وصاحب الكلمة المسموعة حتى إذا تمكن سلطانه بينهم ، وتجمعت له وسائل القوة أَمكنه أَن يُنفِذ ما يريد بقوة السلطان ولكنه رفض المساومة على عقيدته من أَول الأَمر وأَبى إلا أَن يكون واضحاً صريحاً لأَنه يريد أَن يؤسِّس ديناً للإنسانية في كل عصر ومصر فلا يصلح له إلا قلوب مؤمنة ثابتة تحمله للأَجيال من بعده ، ولتكون مُثُلاً حيَّةً ناطقةً للتضحية والثبات على الحق والإصرار عليه والتمسك به .

وما أَحوج الناس إلى أَمثلة ناطقة ، ونماذج عملية للتضحية والثبات تشق للناس طريق الحياة ، وتوقظُهُمْ من نومهم العميقِ وتضعهم على أَول الطريق وهؤلاءِ هم الرجالُ الذين قال الله فيهم :

«مِن الْمُؤْمِنِين رِجالٌ صدقُوا ما عاهدُوا اللهَ عليْهِ فمِنْهُمْ مَنْ قضى نحْبَهُ ومِنْهُمْ مَنْ ينْتظِرُ وما بدَّلوا تبْديلا» .

★ ★ ★

حرصُ النبيّ على قومه وعشيرته

كان محمد صلى الله عليه وسلم صاحب قلب كبير ، ونفس توّاقة إلى إسداء الخير للناس وإرشادهم وهدايتهم إلى الإيمان واستنقاذهم من أوضار الجاهلية وآثامها .

يتجلى حرصه صلى الله عليه وسلم على هداية قومه في أطوار حياته كلها . لما نزل قوله تعالى : «وأَنْذِرْ عشِيرتك الأَقربِين» . بادَرَ النبي صلى الله عليه وسلم وجمَع أهله وعشيرته وصنع لهم طعاماً فأكلوا وشربوا ثم خطبهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعاهم إلى الإسلام وعبادة الله وترك عبادة الأصنام والأوثان ، فأبوا ذلك وانفضوا ساخرين مستهزئين . ولم ييأس النبي ـ صلى الله عليه وسلم فدعاهم مرة أخرى وصنع لهم طعاماً ثم طلب منهم أن يتبعوه لأنهم أهله وعشيرته وأولى الناس به وهو لا يدعوهم إلا إلى الخير والرشد والفلاح وقال لهم «يابَني عبد المطَّلب إني والله ما أَعْلمُ شاباً منَ العَربِ جاءَ قوْمَهُ بِأَفْضَلَ مِمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ ، إني قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُنْيَا والآخِرةِ ، وَقَدْ أَمَرَني اللهُ

تعالى أَنْ أَدْعُوَكُمْ إليْهِ فَأَيُّكُمْ يؤازِرُني على هذا الأَمْرِ ؟ فنَكصُوا على أَعقابهم ورفضوا أَن ينصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى عليُّ بنُ أَبي طالبٍ خذلانهُم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له : أَنَا يا رسولَ الله أَنْصُرُك ، أَنا حَرْبٌ على مَنْ حارَبْتَ ، وسلْمٌ لِمنْ سالمت . فقهقه القومُ وانْفَضُّوا ساخرين . ولمَّا لَمْ يجِدِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم من أَقرب الناس إليه إصغاءً لدعوته صعد جبل الصَّفا وأَخذ ينادي : يابني هاشِم .. يابني عبْدِ الْمُطَّلِبِ .. بابني عبْدِ مَنافٍ .. فسمع الناس المنادي فخرجوا مسرعين ومن لم يستطع أَنْ يخرج أَرسل مكانَه رجلاً . فلما اجتمع الناس قال لهم : يا قوم أَرَأَيْتُمْ لوْ أَخبَرْتُكُمْ أَنَّ خيْلا بِسفح هٰذا الوادي تُريدُ أَنْ تُغيرَ عليْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ . قالوا : نعم . ما جرَّبْنا علَيْكَ كَذِباً قَطُّ .

فلما استوثق من ذلك قال لهم : إني بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ خاصَّةً والنَّاسِ عامَّةً . إني نَذِيرٌ لكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شديدٍ ، ودعاهُمْ إلى تَوْحيدِ الله فرَدَّ عليه أَبو لَهَبٍ

ردًّا قَبِيحاً ، وقال له ، تباً لك أَلِهٰذا جمَعْتَنَا ؟ فنَزل الوحيُ يدافعُ عن رسول الله وَيَرُدُّ على أَبي لهبٍ قولَتَهُ الذَّمِيمَةَ اللئيمَةَ : «تبَّتْ يدَا أَبي لَهبٍ وتبَّ ، ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وما كَسب ، سيصْلى نَاراً ذات لهبٍ وامْرَأَتُهُ حمالَةَ الْحَطبِ ، في جِيدِها حبْلٌ مِنْ مسد» . فسجل عليه بذلك خزياً وعاراً يبقى مع مرور الأَيام ، وكر الدهور والأَعوام .

من هذا يتبين مدى حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية قومه رغم ما كان يصيبه في سبيل ذلك من إيذاءٍ بدني وإيذاءٍ نفسي يملأُ قلبه بالحزن والأَسى ، حتى واساه الحق سبحانه ، وخفف عنه حزنه ، وذكره بأَن مهمته هي البلاغ فحسب ، قال تعالى : «طهَ ، ما أَنزلْنا عَلَيْكَ القُرآنَ لتشقى ، إلاَّ تذْكرةً لمنْ يخْشَى» وقال : «لَعَلَّكَ باخعٌ نفْسكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمنين ، إنْ نَشأْ نُنَزِّلْ عليهِمْ من السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَها خاضعِينْ» «فلا تذْهبْ نفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسرات» «وما أَنْت عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ» . وقدْ كان النبي صلى الله عليه وسلم من حرصه الشديد على

هدايتهم يقف مع الواحد منهم الساعات الطويلة يدعوه وربما صرفه استغراقه في دعوته وحرصه على هدايته إلى أن يُعْرِض عن غيره ممن جاءه يسعى إليه . من ذلك قصته مع عبد الله بن أم مكتوم وكان أعمى ، جاءَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فعبس النبي وتضايق من مجي ابن أم مكتوم في هذه الساعة فنزل القرآن يعاتب الرسول في ذلك ويلفت نظره إلى التخفيف من الإلحاح على الذين انطمست بصائرهم فإن الله غني عنهم .

قال تعالى : «عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ، أَنْ جاءَهُ الأَعْمَى ، وما يُدْرِيكَ لعَلَّهُ يزَّكَّىٰ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرىٰ ، أَمَّا مَنِ اسْتَغْنىٰ ، فأَنْتَ لَهُ تصَدَّىٰ ، وَما عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ ، وَأَمَّا منْ جاءَكَ يسْعَىٰ وهُو يخْشىٰ ، فأَنْتَ عَنْهُ تلهَّىٰ ؟ كلاَّ إنَّها تذْكِرةٌ ..» .

هذا كما كانت رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وفيها ما فيها من المشقة والإرهاق مثلا عالياً على الرغبة العميقة والحرص الشديد على بذل الخير والهدى للناس وإن قابلوا دعوته بالصدِّ والإعراض كما سنرى ذلك في الحديث التالي .

مع الرسول في الطائف

وإذا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه إلى الطائف يدعو ثقيفاً إلى الإسلام وجدنا صورة مثالية من الإخلاص للدعوة ، والجهاد في سبيلها ، والحرص على أن تصل إلى الأسماع وتستقر في القلوب مهما لقي هو في سبيل ذلك من الإرهاق والعنت والمشقة .

ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ثقيف ، لعلهم يقبلون الدعوة التي رفضها قومه في مكة ، ولكن ثقيفاً لم تكن أقل سوءًا من قريش فقابلوه أسوأ مقابلة وردوه أقبح رد ، وسلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم فقذفوه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين. هل هناك سوءُ خلق وسفاهة أشدُّ من هذا ؟ هل هناك نذالة وخسة أعظم من نذالة هؤلاء وخستهم ؟ .

رجل جاء يدعوهم لخيرهم لم يطلب منهم أجراً ولم يسألهم مالا ، وإنما سعى اليهم بنفسه سعياً وتحمل المشقة لكي يبلغهم دعوة ربه فإذا بهم يقابلون

الإحسان بالإساءة ، وياليتهم – إذ لم يقبلوا دعوته – فعلوا كما يفعل الرجل الكريم ذو المروءة والنجدة فأحسنوا لقاءه ، ورفضوا دعوته ؟ ؟ .

ولكن ذلك لم يوهن من عزيمة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يضعف من إرادته ولم يسلمه إلى اليأس والتمس لهؤلاء العذر قائلا : «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمي فإنَّهُمْ لا يعلمون» وراجياً أن يخرج الله من أظهرهم من يعْبُدُ الله .

ولجأ إلى ربه وأخذ يناجيه هذه المناجاة العذبة الحانية :

«اللَّهُمَّ إلَيْك أَشكُو ضعْف قُوَّتي ، وَقِلَّةَ حِيلَتي ، وَهواني على الناس ، يا أَرْحم الراحِمينَ ، أَنْت رَبُّ الْمُسْتضْعَفين ، وَأَنْت ربِّي ، إلى مَنْ تكِلُني ؟ إلى بعيد يَتجَهَّمُني ، أَمْ إلى عَدُوٍّ مَلَّكْتهُ أَمْرِي ، إنْ لَمْ يكُنْ بِكَ غَضَبٌ عليَّ فلا أُبالي ، غَيْر أَنَّ عافِيتكَ هِي أَوْسعُ لي . أَعُوذُ بِنُورِ وجْهِك الَّذي أَشْرقتْ لهُ الظُّلُمَاتُ وصلُح عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيا والآخِرةِ ، مِنْ أَنْ ينْزِل بي

غضَبُك أو يحِلَّ عليَّ سخطُكَ ، لكَ العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وزايلهُ الهمُّ والحُزْنُ بعد أن ناجي ربه هذه المناجاة وظل في مسيرته لا يبالي في سبيل أداءِ رسالته ، ما يلْقي وما يعاني ، فما أكرم نفس رسول الله ! . وما أعلى همته .. وما أقوى يقينه بربه . .

★ ★ ★

مع رسول الله في هجرته

ونصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تآمرت قريش على قتله بعد أن أعياها أمرُه ، ولم يجدوا وسيلة يصرفونه بها عن دعوته ، بل وجدوا إيماناً أثبت من الجبال ، وعزيمة أمضى من السيف ، وإرادة أصلب من الحديد .

وكانوا كلما ازدادوا له ولأصحابه تعذيباً ، واضطهاداً كلما ازدادوا هم صلابة وقوة وثباتاً وإيماناً .

إذن يجب أن يُقْتل محمد حتى يقضوا على الدعوة في مهدها وعلى القبائل جميعاً أن يشتركوا في هذه الجريمة النكراء ولكن عين الله ساهرة «وإذ يمكرُ بكَ الذين كفروا لُيثبِتوك أو يقتلوكَ أو يخرجوكَ ويمكرون ويمكر الله واللهُ خيرُ الماكرين» . وعلى الرغم من حب النبي صلى الله عليه وسلم لوطنه الحبيب ، ولمسقط رأسه العزيز ، فقد تركه من أجل عقيدته وهاجر ،

لأن العقيدة أثمن من الوطن ، وأغلى من الأرض ، وأعز من الأهل والعشيرة .

ولقد ألقى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على مكة نظرة الوداع الأخيرة وهو يغادرها قائلاً : «والله إنَّكِ لأحبُّ بلادِ الله إلى الله وإنَّكِ لأحبُّ بلادِ الله إليَّ ولولا أنَّ أهلكِ أخرجوني منكِ ما خرجتُ» .

مِنْ أجْلِ العقيدةِ هاجر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحثاً عن التربة الصالحة التي ينمو فيها الإيمان ، وتُزهِر فيها العقيدة وتترعرع فيها أزاهير الحق واليقين وتصحب الركب المهاجر عنايةُ السماءِ ، فتحوطه بالرعاية وتُعمي عنه أعين المشركين الذين انطلقوا يبحثون ويقتفون الآثار حتى وقفوا على باب الغار ويراهم الصِدّيقُ أبو بكر فيقول : «يارسول الله لو نَظرَ أحدُهم تحْت قدميْهِ لرَآنا» .

ولكن النبي ـ صلى الله عليه وسلم يجيبه بإيمان الواثق ، وثقة المؤمن : «يا أبا بكر ما ظنُّك باثْنينِ اللهُ ثالِثُهُما لا تحْزنْ إنَّ الله معَنا» . وذلك قوله تعالى :

«إلاَّ تنصُرُوهُ فقد نصرهُ اللهُ ، إذْ أخْرجَهُ الذين كفرُوا ثانِيَ اثنينِ إذ هُما في الغارِ ، إذْ يقُولُ لِصاحِبِهِ لا تحْزنْ إنَّ الله معنا» .

ويحمي الله نبيه بأضعف ما في الوجود ، ببيض الحمام وخيط العنكبوت ، حتى يوقن الناسُ أن الله لا يُعْجزُهُ شيءٌ في الأرض ولا في السماء وأنه مع أوليائه لا يتخلَّى عنهم إن اعتمدوا عليه ولجأُوا إليه «إنْ تنْصُرُوا الله ينْصُرْكُمْ ويُثبِّتْ أقْدامكُمْ» .

ويمضي الركبُ المهاجر تحوطه عناية السماء ليبلغ الإنسانية أشرف رسالة ، وأقدس شريعة ، وأكمل دين .

★ ★ ★

كيف كان النبى عليه الصلاة والسلام يربي اصحابه

نريد أن نعود بأذهاننا وتصوراتنا إلى ذلك العصر المشرق بنور النبوة ، نقف بين يدي المعلم الأول لنتعلم منه : كيف أمكنه أن يحدث أعظم انقلاب في حياة البشر ؟ كيف استطاع أن يشعل تلك الشموس الربانية في قلوب صحابته فأشرقت وأضاءت بعد ظلمات ؟ . كيف استطاع أن يحوِّل هذه القلوب القاسية ، من ظلمات الجاهلية والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد ؟ . وأي ماءٍ من فيض الحياة الروحية أفاضه هذا النبي العظيم على هذه القلوب فاهتزَّت وربَت ونمت فيها أزاهير الوجدان الحي ، وترعرعت فيها العواطف الجياشة والضمائر اليقظة ؟

إنَّ عظمة هذا النبي الكريم تكمن في أنه استطاع أن يجمع هذه الطاقات المبعثرة ، وأن يوجهها وجهة واحدة ويقذف بها في نحر الباطل فانطلقت في الآفاق تحمل للبشر مصابيح الهداية والنور .

ماذا فعل هذا النبي العظيم حتى جعل من رعاة الغنم ، وعُبَّاد الصنم سادة الدنيا ، وهداة الإنسانية ، وأساتذة العالمين ؟ .

لقد قذف محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قلوب صحابته بهذه المشاعر الثلاثة ورباهم عليها :

أولاً : غرس في قلوبهم أنَّ ما جاء به هو الحق ، وما عداه باطل وضلال ، وأن رسالته خيرُ الرسالات ، ومنهجه أفضل المناهج ، وشريعته أكمل الشرائع .

ولذا فهي جديرة أن يؤمنوا بها ، ويضحُّوا في سبيلها ، ويثبتوا عليها . وأكَّد القرآن لهم هذه المعاني في آيات ناصعات : ـ

«فاسْتَمْسِكْ بالَّذي أُوحِيَ إليْك ، إنَّك على صِراطٍ مُسْتقِيم ، وإنَّهُ لذِكْرٌ لك ولِقوْمِك وسَوْفَ تُسْأَلُون» «فتوَكَّلْ على اللهِ إنَّك على الْحقِّ الْمُبِينْ» «ثُمَّ جَعلْناك على شرِيعة مِن الأَمْرِ فاتَّبِعْها ، ولا تتَّبعْ أَهْواءَ الذِين لا يعْلَمُونْ» .

قرأُوا هذه الآيات ، ووعوها ، وآمنوا بها ،

وطبقوها في حياتهم .

ثانياً : وغرس في قلوبهم أنهم ما داموا على الحق وغيرُهم على الباطل فهم إذنْ سادةُ الدنيا ، وقادة العالمين ، ولهم منزلة الأُستاذ بين تلاميذه يحنو عليهم ، ويرشدهم ، ويهديهم سواءَ السبيل .

وأَكَّد القرآن لهم هذه المعاني في مثل قوله تعالى : «كُنْتُم خيْر أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناس تأْمُرُونَ بِالْمعْرُوفِ وتنْهَوْن عنِ الْمُنْكرِ وتُؤْمنُون باللهِ» وقوله : «وكذٰلك جعلْناكُم أُمَّة وسطاً لتكُونُوا شُهداءَ على الناسِ ، ويكُون الرَّسُولُ عليْكُمْ شهِيداً» وقوله «وجَاهِدُوا في اللهِ حقَّ جِهادِهِ هُو اجتباكُم» .

قرأُوا هذه الآيات وفهموها وامتزجت بقلوبهم ، وصدرُوا عنها .

ثالثاً : وغرس النبي صلى الله عليه وسلم في قلوبهم معنى ثالثاً هو :ـ

أنهم ما داموا مؤمنين بهذا الحق معتزين بانتسابهم إليه فإنَّ العاقبة لهم ، ولابد أن يظفروا بإحدى

الحسنيين : النصر العاجل في الدنيا ، أو الثواب الاجل عند الله ، وأن الله معهم يُمِدُّهُمْ بنصره وتأييده إذا تخلى عنهم الناس ، ويُنزل عليهم جنده من السماء إذا لم ينهض معهم جند الأرض .

وقرأوا هذه المعاني واضحة في كتاب الله : ـ

«إنَّ الأَرْض لله يُورِثُها من يشاءُ مِنْ عِبادِهِ والعاقِبَةُ للمُتَّقِينْ» «أنَّ الأَرْض يَرِثُها عِبادي الصَّالِحُون» «كتبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنا ورُسُلي» «إنا لنَنْصُرُ رُسُلَنا والَّذين آمَنُوا في الحياةِ الدُّنْيا ويَوْمَ يقُومُ الأَشْهادُ» «ولَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ» .

بهذه المشاعر الثلاثة : ـ

* الإيمان بعظمة الرسالة .
* الإعتزاز باعتناقها ، والمغالاة بها .
* الأمل في تأييد الله إياها .

بهذه المشاعر أحيا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قلوب أصحابه ، وهز مشاعرهم وأيقظ ضمائرهم ، فاندفعوا يحملون رسالتهم ويبلغون دعوتهم واثقين

من نصر الله وتأييده فدانت لهم الأرض وفتحوا البلاد باسم الإسلام دينِ العدالة والرحمة والهداية واستطاعـــوا أنْ يؤسسوا حضارةً إسلاميـــة قوامُها الأخلاقُ الكريمة ، والعدالةُ الرحيمة ، والسموُّ الروحي والارتباط الوثيقُ باللهِ ربِّ العالمين . .

نحنُ في حاجةٍ إلى أن نُحْيِي قلوبنا ، ونُوقِظ أرواحنا بهذه المشاعر الربانية التي غرسها محمد – صلى الله عليه وسلم – في قلوب أصحابه فصنعوا المعجزات في حياة البشر .

١) الإيمان بعظمة الإسلام وبأنه الرسالة المرتقبة التي تخلص الإنسانية من حيرتها وشقوتها .

٢) الاعتزاز بهذا الدين والغيرة عليه والحماسة له والمغالاة به .

٣) الأمل الكبير في نصر الله «وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ» «وما النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ إنَّ اللهَ عزِيزٌ حكِيمٌ » .

★ ★ ★

مع رسول الله فى مُؤاخاته بين المؤمنين

هذا الإسلام لا يصلح له إلا أُناس تعاقدت قلوبهم على الحب والوفاء وتواثقت على الترابط والتآزر ، وتعاهدت على التضحية والإيثار .

لا بد أن يكونوا لُحمة واحدة ، وقلباً واحداً ، يشعرون بشعور واحد ، ويلتقون على هدف واحد ، ويعملون لغاية واحدة ، كل منهم يمثل لبنة في بناء المجتمع وصفحةً في كتاب الإسلام وعضواً في جسم الإيمان كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

«مَثَلُ المؤْمِنِين في تَوَادِّهم وتراحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كمَثَل الجَسَدِ الوَاحِدِ إذا اشْتَكى مِنْهُ عُضْوٌ تَداعى لهُ سائرُ الأَعْضاءِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى» وقال : «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كالْبُنْيان يشُدُّ بعْضُهُ بعْضاً» .

وقال عليه الصلاة والسلام : «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ لِلْمُؤْمِنِ كمَثَلِ الْيَدَيْنِ تغْسِلُ إحْدَاهُمَا الأُخْرى» .

أَجَلْ ... لا يصلح الإسلام ولا تتعمق جذوره ،

ولا ترتفع ذراه إلا بهذه الكتلة المتراصة ، والمجموعة المتحابة المتاخية ، التي يكمل كل واحد فيها أخاه فيسد خلله ، ويصلح عيبه ، ويكمل نقصه .

من أجل ذلك كان أول ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ـ أن ربَطَ بين قلوب المؤمنين في كل مكان برباط وثيق من الحب والإخاء لا تنفصم عراه ، فعقد بين المؤمنين أُخُوَّةً تُزري بأُخُوَّة اللحم والدم ، وتتضاءل بجانبها رابطةُ النَّسبِ والعصَبِ . ارتفعت عـــلى كل الروابط الأرضية ، وتسامت فوق كل العلاقات الدنيوية ، إنها رابطة الإخاء الذي يقوم على الحب العميق في الله «لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنفْسِهِ» .

كان أوَل عمل قام به النبي ـ صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة هو أن عقد هذا الإخاء بين المهاجرين والأنصار فصارت أُخُوَّتُهُمْ مضرب الأمثال وترك لنا التاريخ أروع صور المحبة والتضحية والإيثار .

آخى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين سعد بن

الربيع من الأَنصار ، وعبد الرحمن بن عوف من المهاجرين فقال سعد لعبد الرحمن : «إنّني أكْثرُ الأَنصارِ مالاً ، فأقْسِمُ مالي نصفين وإنَّ لي امرأتَيْنِ فانْظُرْ أَعْجَبهُما إليك أُطَلِّقْها فإذا انقضتْ عِدَّتُها تَزَوَّجْتها . فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالِك ، ولٰكنْ أَيْنَ سُوقُكُمْ ؟ فدَلُّوهُ على السوقِ فتاجَرَ وربح .

وفي غزوة بدر أَسَر أَحدُ الأَنصار ـ واسمه أبو اليُسر ـ أخاً لِمُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ فمر مُصْعَبٌ بأخيهِ بين الأَسْرى فقال لأَبي اليُسْرِ : أُشْدُدْ يديْكَ عليه ، فإنَّ أُمَّهُ ذاتُ مالٍ لعلَّها تفْدِيهِ منْك . فقال لَهُ أَخُوهُ : أَهٰذِهِ وصاتُك بي يا أخي ؟ فقال له مصعب : إنَّهُ أَخي اليوم دونك .

لم يعد يرى أُخوَّته إلا فيمن ارتبط معه برابطة الإيمان والعقيدة . أما من فارق الإيمان أو بقي على كفره فلا إخاء بينه وبينه ، وإنْ كان أخاه من أُمه وأَبيه .

ومن صور الإيثار النادر الذي عمَّقه النبي – صلى الله عليه وسلم – في قلوب أصحابه هذه القصة التي يرويها حذيفة العدوي :

قال – انْطَلَقْتُ يوم اليرموك أطلب ابن عمٍّ لي ، ومعي شيءٌ من الماء وأنا أقول : إنْ كان به رَمَقٌ سَقَيْتُهُ فإذا انا به فقلتُ : أسقيك ؟ فأشار أنْ نعمْ فإذا رجلٌ آخرُ يتأوَّهُ فأشار إليَّ ابنُ عمي أنِ انْطلقْ إليه فإذا هو هشام بنُ العاص فقلت أسقيك ؟ فأشار إليَّ أنْ نعم . فسمع آخَرَ يتأوَّهُ فأشار إليَّ هشامُ أنِ انطلِقْ إليهِ فجئْتُهُ فإذا هو قدْ مات ، فرجعتُ إلى هشام فإذا هو قد مات فَرَجَعْتُ إلى ابنِ عميّ فإذا هو قد مات ولَمْ يَشْرَبْ منهم أحَدٌ ، إيثاراً لأخيه على نفسه .

وقد وضع النبي – صلى الله عليه وسلم – ركائز ثابتة لاستدامة الإخاء والمحبة في قلوب المؤمنين ، هي علامات على أن الأُخوة باقية ونامية وثابتة .

منها : أن تحبَّ النفع لأخيك ، وتكره مضرته ، وتبادر إلى دفعها ..يقول عليه الصلاة والسلام :–

«المسلمُ أَخو الْمُسْلِم لاَ يظْلِمُهُ ولا يخْذُلُهُ ، ومنْ كانَ في حاجة أَخيه كان اللهُ في حاجَته ، ومنْ فرَّجَ عنْ مسلم كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عنه بها كُرْبةً منْ كُرَبِ يَوْم القِيامَةِ ، ومَنْ ستَر مُسْلماً سَترَهُ اللهُ يوْم القِيامَةِ» .

وتفرض هذه الأُخوةُ التناصر بين المؤمنين ، لا تناصر العصبيات الحمقاءِ بل تناصر المؤمنين الذين يقفون مع صاحب الحق حتى يثبت له حقه ، ويردون المعتدي ويحجزونه عن ظلمه وتطاوله حتى يعود إلى الحق ، وذلك معنى حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ «أُنْصُر أَخاك ظالماً أَوْ مظلوماً ، قالوا عرفنا كيف ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : تمنعُهُ منْ ظُلْمِه فذلِك نصْرٌ لهُ» .

وفي الحديث «منْ مشى معَ مَظْلُوم حتىَّ يُثَبِّت له حقَّهُ ثبَّتَ اللهُ قدمَيْهِ على الصِّراطِ يوْم تزِلُّ الأَقْدامُ» .

ومن علامات الأُخوة الصادقة كذلك أَن تشعر بشعور أَخيك ، وتحسَّ بإِحساسه ، وتتعهده بالسؤال عن أَحواله ، وتبدي اهتمامك البالغ بأَمره ، فربما منعه حياوه أَن يبادئك بما يتأَلم منه فتكون أَنت

أسبق بالسؤال عنه ، ولا تكن ميت العاطفة ، قليل الإكتراث ، فتلك أنانية بمقتها الإسلام ويمقت أصحابها

فعن ابن عباس : أَنَّهُ كان مُعْتكِفاً في مسجد رسولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدخل رجلٌ فسلَّم عليه ثم جَلس فسأله ابنُ عباس : مالي أراك مكتئباً حزيناً ؟ فأخبره بخاصة أمره ، فقام ابنُ عباس مِنْ فوْرِهِ لِيسْعي في حاجةِ أخيهِ فقال له الرجل : أَنسيتَ ما أَنْت فيهِ مِن الاعتكاف ؟ فقال له : لا واللهِ ما نسِيتُ ، ولكني سمعتُ صاحب هذا القبرِ ـ ودَمعَتْ عيناه ـ يقولُ : منْ مشى في حاجةِ أخيهِ وبلغ فيها كان خيراً مِن اعتكافِ عشْرِ سِنين» .

إنَّ أعظم ما قام به محمدٌ ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو جَمْعُ القلوبِ المتنافرة وتأْليفُ القبائل المتحاربة ، وتوحيد الصفوف الممزقة وربطها برباط الأُخوة الغامرة والحب العميق ، وتوجيه هذه الطاقات الهائلة لرفع كلمة الله ونشر دينه في الافاق .

وأواصر الإخاء هذه هي التي قوَّتْ شوْكة الإسلام

وأقامت دولته ، ورفعت رايته ، وعليها اعتمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تأسيس دولة صارعت الوثنية فصرعتها .

وما هان المسلمون أفراداً وجماعات ، وطمع فيهم الضعفاءُ الأذلاءُ إلا يوم أن وهت أواصر الإخاء بينهم وضعفت روابط المحبة في قلوبهم ، ولن تعود إليهم قوَّتهم ، إلا إذا عادوا إخْوةً متحابِّين متآلفين ، مترابطين بالإيمان ، معتزين بالله ، «ولله العِزَّةُ ولرسُولِهِ وللْمُؤْمِنِين» .

وبعـــد :

فهذا هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بعض جوانب حياته .

لقـــد وجدناه عظيمـــاً في كل شيءٍ ، ومثـــلا أعلى في كل أمر ، يقتدي به المؤمنون فيهتدون إلى خيْرَي الدنيا والآخرة . فإذا اتخذنا رسول الله أُسوتَنا وقُدوتنا ، لا نُقدِّمُ أمراً على أمره ، ولا حكماً على حكمه ، ولا منهجاً على منهجه ، فقد سلكنا أقـــوم

سبيل وأهدى طريق .

«وَيومَئِذٍ يفْرَحُ المؤمِنُون بِنصْرِ الله ينْصُرُ من يشاءُ وهُو العزيزُ الرَّحِيمُ ، وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وعْدهُ ولٰكِنَّ أكْثر النَّاسِ لا يعْلمُونْ» .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

* * *

الفهرس

مـــقدمـــة	٥
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حب قومه له	٧
صفحة وعفـــوة	١٤
الشـــورى	١٩
ماذا يعنى محمد صلى الله عليه وسلم بالنسبة لنا	٢٣
رسول الانسانية	٢٨
محمد فى بيته ومع خدمه	٣١
ثباته على الحق وتمسكه به	٣٦
حرص النبى على قومه وعشيرته	٣٩
مع الرسول فى الطائف	٤٣
مع رسول الله فى هجرته	٤٦
كيف كان النبى عليه الصلاة والسلام يربى اصحابه	٤٩
مع رسول الله فى مؤاخاته بين المؤمنين	٥٤
خاتمـــة الكتـــاب	٦٠